التحنيط في مصر القديمة

(مفهومه ، طرقه ، دوافعه)

د / خالد عبدالملك الصعيري*

المقدمة

اهتم المصريون القدماء اهتماماً كبيراً بأجساد الموتى؛ خوفاً من التفسخ والتحلل اللذين يصيبان الجسد البشري بعد موته، وسعوا لابتكار طريقة ناجحة لحفظ تلك الأجساد، وتوصلوا في ذلك إلى عملية (التحنيط)، وتعددت طرق المحافظة على الجسد، بحسب إمكانية المتوفى، فهناك طرق متعددة تتفاوت ربما بحسب مكانته ومنزلته، فظهرت طرق غالية، ومتوسطة وأخرى رخيصة، وهي في ذلك تخضع لمواد التحنيط المكونة من العقاقير والبخور والبلسم.

وترجع عملية ابتكار التحنيط لاعتقادهم بالوجود المستقبلي للميت، إذ يعتقدون أن التحنيط يحافظ على الجسد، وبالتالي يضمن عودة الروح إليه، كما يختار للجثة تابوت، يصنع بحسب العصر، سواءً أكان خشبياً أم حجرياً، أم غير ذلك، وكذلك ترتبط عملية إتقانه وجودته بحسب غنى الميت من فقره.

وبعد أن يتم تحنيطها وتزيينها بالمواد اللازمة التي يتطلبها العالم السفلي (الأخروي) توضع الجثة بتابوتها في القبر.

ونعتقد أن هذا الموضوع يثير في القارئ رغبة الاطلاع والمعرفة لأسرار التحنيط وما يحيط بهذه الطريقة من تفاصيل، ومن ثم فقد دفعني لبحث هذا الجانب من معتقدات المصريين القدماء وطقوسهم الدينية، والكشف عن أسراره وهو ما يحاول هذا البحث أن يرود أفق هذا المعتقد والسعي لتحقيق النتائج المعقودة في ثناياه.

ويتضمن البحث أربعة مباحث، وخاتمة.

---

* أستاذ الحضارات الشرقية القديمة والأديان المساعد – كلية الآداب – جامعة إب

المبحث الأول

أ) مفهوم التحنيط لغة واصطلاحاً:

التحنيط مصطلح عام يعني المحافظة على الجسم من التلف والبلى بطرق مختلفة.

ويطلق مجازاً على الجسد المحنط اسم "مومياء" أي مصطلح "Mum" المشتق في أصله من الكلمة العربية أو بالأحرى المتعربة "مومياء" أي الزفت والقير لاستعماله في طرق التحنيط وهي التي تعني بالفارسية "الشمع"[١]. (باقر، ص١٠٠)

وعرف التحنيط بأنه استخدام الحنوط أو الحناط لغةً "وهو كل طيب يمنع فساد الجسد ، أو هو كل ما يطيب به الميت من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك، مما يذر عليه تطيباً له وتجفيفاً لرطوبته، ولفظ (Emblam) يعني حنط من لفظ لاتيني Balasmum، أي حفظ في البلسم[٢]. (مهران، ص١٠٣)

ويطلق لفظ "مومياء" على الجسم المحنط مجازاً ؛ على اعتبار أن الجسم المحنط المائل للسواد، يشبه اللون المعروف للمادة التي تسمى "مومياء"؛ وهي مادة قارية كانت تستخدم أحياناً كدواء للأوجاع[٣]. (عبدالواحد، وعامر سليمان: ص١٠٣)

وتعني "مومياء" بالفارسية النوع النادر من البلور "كريستال"، القار الأسود وهو العلاج المستخدم للجروح والعظام المكسورة[٤]. (أحمد، ص١٠٣)

ومن التحنيط عرف الإنسان الكيمياء، حتى إن الإغريق أطلقوا لفظ "كمي" للدلالة على هذا العلم، والذي عرف منذ عهد الأسرة الأولى في مصر[٥]. (موسى، ص ٤٥)

ب) نشوء التحنيط:

إن العقائد والتطبيقات الجنائزية المصرية معروفة وبشكل مفصل على جدران المعابد وفي القبور، وإن الهدف من الدين أو العملية الجنائزية هو المحافظة على الوجود (الخلود). والقير المصري هو الحافظ للروح ويسمى (دار الخلود)، وخلال المملكة القديمة لم يكن الناس قد تعرفوا على التحنيط[٦]. (غليونجي، ص ٣٢)

وإننا لا نعلم متى بدأت هذه العادة على وجه التحديد، وكانت العملية بادئ ذي بدء تنحصر في مجرد الدفن على عمق لم يكن بالقليل في باطن الرمل، وساعد جفاف الرمل وسخونته على الحفاظ على الجثة، أما أقدم شكل ملموس للتحنيط فهو "مومياء" "حتب حوس" أم الملك "خوفو" باني الهرم الأكبر، ولكن الكشف عن أجزاء من أجسام ترجع إلى الأسرة الأولى، تؤكد العمل بها في أوائل العصر التاريخي أي حوالي ٣٤٠٠ق.م[٧].

والتحنيط لا يمكن أن يبلغ هذا المستوى، إلا بفعل مرور الزمن المتعاقب والتجارب المتعددة.

ويبدو أن فن التحنيط لم يدخل حيز التطبيق إلا في عهد الأسرة الثالثة[٨]. (مري،مرجريت: ص٢٧١)، ولم يظهر دليل على محاولة الحفاظ على جثث الموتى بالتحنيط في عصور ما قبل التاريخ[٩]. (تشرني، ص١٢٦)

وفي أيام الأسرة الثالثة أو قبل هذا بقليل كانت هناك بعض المحاولات لمنع التعفن، كتفريغ ما بداخل البطن ووضع محتوياته في أوانٍ خاصة وفي بعض الحالات تم حشوه بالكتان، ولكنها لم تكن لتأخذ شكل الملامح تماماً[١٠]. (غليونجي، ص٣٢)

وقد عثر في عهد الأسرة الرابعة حوالي (٢٧٠٠ق.م) على بعض الأجسام المحنطة تحنيطاً تاماً في منطقة الأهرام بعضها من الأسرة الملكية وبعضها من أفراد الشعب. يضاف إلى ذلك أن صندوق الأحشاء الذي عثر عليه للملكة "حتب حوس" لا يزال يحتوي على صرة تضم أحشاء المتوفاة وهي محفوظة في النطرون؛ مما يدل على أن الجسم كان محنطاً، غير أنه لم يعثر عليه في القبر. وتوجد (مومياء) منذ عهد الأسرة الخامسة في المتحف الملكي في كلية الجراحة في (لندن)[١١]. (حسن، ص ٣٧٣)

وخلال الدولة القديمة كانت هناك تماثيل للموتى على شكل مومياء وهي سمة مذهلة لأضرحة المملكة القديمة[١٢]. (Murray ، P١٨٦)

وكما يقتضي الدين المصري المحافظة على الجسد، فقد تم وضع أهمية متزايدة على المحافظة عليه بالكامل وتم تطبيق وسائل متقدمة بالتدريج. وفي المملكة الوسطى حوالي (٢٠٥٠ق.م) تم اكتشاف أن إزالة الأعضاء الداخلية للجسم كان أساسياً للتحنيط الجيد وكانت هذه الأجزاء توضع في صناديق خاصة، وخلال المملكة الجديدة (عصر الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٩٠ق.م) وصلت العمليات المتعددة إلى درجة عالية جداً من الملائمة[١٣]. (Car rington، P. ١٤٨)

ويبدو أن عملية التحنيط التي مارسها المصريون القدماء في العصور الأولى كانت مقصورة على الملوك والأشراف والكهنة وكبار الموظفين والطبقات الغنية ولم يعم استعمالها إلا في العصور المتأخرة (١٠٩٠-٣٣٢ق.م)، حين صار الموتى من الطبقات الفقيرة أيضاً يحنطون[١٤]. (لوكاس، ص ٤٥)

وفي العهود الرومانية عثر على بعض الأجسام المحنطة محفوظة جيداً. واستمر المصريون في ممارسة عادة التحنيط حتى في العهود المسيحية، لكن هذه الممارسة بدأت تختفي من الاستعمال تقريباً في نهاية القرن الرابع للميلاد[١٥]. (باقر، ص ١٠٥)

ج) مراسيم الحداد:

يرى (هيرودوت) أنه عندما يموت شخص ذو مكانة، فإن النساء بالبيت المتوفى فيه، يقمن بتلطيخ الرأس والوجه بالطين، ثم يتركن الجثة في الدار ويتجولن في المدينة وقد شمرن وكشفن عن صدورهن، وكذلك الرجال كانوا يلطمون، وعندما ينتهي ذلك يحملون الجثة لتحنيطها[١٦]. (إبراهيم، ص٤٧٧)

إن لطم الخدود وشق الجيوب وتلطيخ الوجوه والثياب بالوحل أو صبغها بالألوان الفاتحة

كان وما يزال معروفاً في الشرق عامة وفي مصر خاصة.

ومظاهر الحزن في مصر قديماً ترجع إلى أصل قديم هي تلك الأسطورة المعروفة عند الفراعنة (أزوريس) وحزن أختاه (ايزيس) و(نفتيس) لمصرعه، والصور التي رسمت من قبل القوم، في قبور موتاهم ومن حولها صور للنساء الباكيات الصائحات وقد حددن شعورهن[١٧]. (هيرودوت، ص ١٩٢)

وكان الأقارب يظلون في حالة حداد مدة لا تقل عن سبعين يوماً، إذ كانوا يرفضون كل عمل يتطلب مجهوداً، ويلزمون البيوت ساكنين، وإذا اضطروا إلى الخروج فقد كانوا يلطخون وجوههم بالطين، ولكن في الأخير كانت هناك مهمة عاجلة تتطلب اهتمامهم وهي تسليم الجثة إلى المحنطين واختيار طريقة التحنيط[١٨]. (بير، ص٤٣١)

المبحث الثاني
عملية التحنيط وطرقها

أ) عملية التحنيط:

لقد كان لكتاب الإغريق والرومان ومنهم (هيرودوتس، وديودورس) دور كبير في وصف عملية التحنيط وصفاً دقيقاً، وقد أثبتت الدراسات الحديثة التي أجريت على المومياء المكتشفة صحة وصفهم ودقته، وكانت عملية التحنيط – أي معالجة الجثة، منذ الوفاة وحتى الدفن– تتبع فيها الإجراءات الآتية:

تنقل الجثة إلى غرفة التحنيط وتنزع ملابسها وتوضع فوق لوح خشبي، ثم تمرر قطعة معدنية من خلال الأنف تشبه الخطاف لسحب المخ[١٩].(إبراهيم، ص ١٨٣)

ويعمل قطع في الجانب الأيسر، وتفرغ الأمعاء وكل الأجزاء الداخلية، فيما عدا القلب والكليتين ثم تعالج كل من هذه بمواد معينة (محلول من الشراب والعطور) وتلف على حده وتوضع في تجاويف الجسم ثانية وتوضع في أوانٍ فاخرة تناسب صاحبها، وتحاط بمواد حافظة تمنع تلفها وفسادها[٢٠].(صالح، ص٣١٨)

وبعد تفريغ الأمعاء يتم تنظيف الجوف بنبيذ البلح والتوابل وكان يملأ بالمر والقرفة ومواد عطرية أخرى، وكان الجزء الذي يفتح من الجسم لأجل التحنيط يخاط ثانية وتعالج الجثة بملح النطرون[٢١](حسن، ص٣٧٣). وتترك مدة سبعين يوماً في ملح النطرون[٢٢]، ثم يستخرج الجسم من النطرون بعد ذلك ويغسل بالماء أو بنبيذ النخيل ويجفف[٢٣](حسن، ص٣٧٣) ثم بعد ذلك تملأ فجوى الرأس بمواد راتنجية *، ونشارة الخشب والقطران والقار أو بخرق مغموسة في المادة الراتينجية وتعالج البطن بنفس الطريقة وتستخدم مواد عديدة أهمها شمع النحل

* من أهم الأملاح المستخدمة في التحنيط (النطرون) وهو يتكون من كربونات وبيكربونات الصودا، أما كلور الصوديوم فهو من الأملاح الكثيرة الموجودة في مصر ويوجد مع النطرون بنسبة قد تصل إلى ٥٠٪ وكنور الصوديوم يستعمل كما هو بينما النطرون كان المستعمل منه محلوله في الماء فقط، والمادة الأساسية (الراتنج) وهو زيت تسخين ينتج بقطع جذع النبات وتنفصل منه بالتقطير مادة تعرف (براتنج) وهي توجد في (كريت، سوريا، فلسطين، لبنان، الصومال، وبلاد العرب الجنوبية [اليمن]، السودان) وهي غير معروفة الآن، انظر: محمد الخطيب: حضارة مصر القديمة (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣)، ص ٢٢٧.

لتغطية الأذان والعيون وفتحت الأنف والفم والشق، الذي في بطن الميت الناتج عن الجراحة والخيار والدارسين وزيت خشب الأرز، الصمغ والحناء والبصل وأنواع من المواد الراتينجية[٢٤]. (بير، ص١٨٩)

بعد ذلك يتم لف الجسم بشكل دقيق بقطعة طويلة من القماش اللين وتثبيتها بمادة العلك اللزجة (اللبان)، كما تلف عضلات الجسم بالكتان المغموس في المواد الراتينجية، وتلف الأصابع مفردة قبل ربطها معاً، ولا يلف عضو إلا وتتلى مع وضع اللفائف أدعية وتعويذ معينة، وأخيراً توسد الجثة داخل تابوت خشبي وتوضع معها حلي الميت.

ذلك يدفعنا إلى القول بأن الفكرة الرئيسية في التحنيط قائمة على تجفيف الجسد ومنع الرطوبة من التسرب إليه ثم تعطيره ومحاولة المحافظة عليه بقدر الإمكان؛ حتى ينقل الميت سليماً إلى حفرة. (أوزيرلس[٢٥](Ositis). (إبراهيم، ص ١٨٩)

ب) طرق التحنيط:

لقد كانت عملية التحنيط شيئاً غامضاً، وبدون تفسير لبضعة آلاف من السنين ويخبرنا "هيرودتس" بطريقة تنفيذها بدقة.

وإن ثمة أشخاصاً معينين من قبل القانون لممارسة حرفة التحنيط، وعند إحضار الجسد الميت إليهم، يعرضون لأقارب الميت عدة نماذج خشبية لكفنه تتناسب في البراعة والأسلوب حسب غنى الميت، وثمن هذا الكفن المقدم من خلال عائلته وأقاربه[٢٦]. (Williams، P. ٢٣٦)

الطريقة الأولى:

وتمثل هذه الطريقة الأكثر كلفة ودقة وإتقاناً فكانت خاصة بالأسرة الحكمة والأثرياء وكانت كلفتها تزيد عن وزنه من الفضة[٢٧](عبدالواحد، ص٢٤٤). ويتم في هذه الطريقة إخراج الدماغ من فتحتي الأنف، باستخدام سلك حديدي وربما يحقنه ببعض العقاقير الطبية وباستخدام حجارة أثيوبية، يقومون بأحداث شق في جانب الرأس، يخرجون ما بداخله ويقومون بغسل المكونات بالكامل بزيت النخيل وبعد ذلك بمحاليل مطهرة ومعطرة وبعدها يملأون الجسم بمختلف المساحيق الطاهرة والجافة وكل العطور الأخرى باستثناء البخور، وبعدها يدخلون الجسم في محلول ملحي (nitre) لمدة سبعين يوماً وهو الوقت الذي لا يجب عليهم تجاوزه[٢٨]. (Williams، P. ٢٣٦)

وفي نهاية الفترة يغسل الجسد ويلف بالأربطة المصنوعة من القطن والملصوقة باللبان "العلك" والذي يستخدمه المصريين كصنع، وبعدها يعاد الميت إلى أقاربه الذين يضعون جسده داخل تابوته الخشبي الجميل[٢٩]. (إبراهيم، ص٤٧٧)

الطريقة الثانية:

وهذه الطريقة تتم بالإجراءات الآتية: فإنهم يصبون زيت شجر الأرز في حقن ويملأون

به بطن الميت ولا يشقون البطن ولا يخرجون الأحشاء وإنما يضعونه، حسب عدد الأيام (٧٠ يوماً) المقررة بتعليماتهم في نقيع النطرون (ملح النطرون)، وفي اليوم الأخير يخرجون زيت الشجر (الأرز) المحقون به من الجوف، بحيث لا يبقى من كامل الجسم غير الجلد والعظام بعد تفسخ الأجزاء الداخلية، وثم يسلمون الجثة لأصحابها؛ لوضعها في القبر[٣٠]. (مجلة آفاق عربية، ص١٣٥)

الطريقة الثالثة:

أما هذه الطريقة فكلفتها قليلة جداً، ومقصورة على غمس الجثة في النطرون لمدة (٧٠يوماً) ومن ثم تسليمها إلى أهلها[٣١]. (عبدالواحد، ص٢٤٤) ويروي لنا (ديودورس) الذي عاش في حدود (٤٠ق.م) أن طرق التحنيط عند المصريين ثلاثة وكانت الطريقة الأولى تكلف وزنه من الفضة والثانية ربع وزنه من الفضة والثالثة قليلة النفقات جداً وكانت المدة الفاصلة بين موت الشخص ودفنه تختلف في طولها، فيؤخذ من الكتابات المصرية القديمة أنه في حالة خاصة استغرق التحنيط (٣٦ يوماً) وعملية تعصيب الجسم ولفه بالكتان مدة (٣٥ يوماً) والدفن (٧٠يوماً) فيكون مجموع المدة (١٢١ يوماً)، ولم يقتصر التحنيط على الملوك والناس الآخرين أو الأجساد الإنسانية، بل تعداه إلى جثث الحيوانات المقدسة كالقطط والصقور والقردة والكباش والعجول والتماسيح واتبعوا في ذلك الطرق نفسها المتبعة في تحنيط الآدميين[٣٢]. (باقر، ص١٠٦)

وصف حجرة التحنيط وأهم أنواع التوابيت:

كانت عملية التحنيط تتم في أماكن مخصصة، تقع في الغرب من مكان الدفن، ولأهمية تلك البيوت العقائدية فقد أطلق عليها اسم (المكان المطهر)، أو (دار الإله الطاهرة) ، أو (خيمة الرب)[٣٣]. (غليونجي، ص٣٩)

لقد أظهرت التنقيبات التي أجريت في مصر غرفة كاملة للتحنيط، لعلها الغرفة الوحيدة من نوعها التي أمكن الكشف عنها، وتقع الغرفة عند مدخل أحد السراديب الطويلة التي نحتت في الصخور وخصصت لدفن بعض أنوع الحيوانات وينفتح باب الغرفة من الضلع الجنوبي، أما الضلع الشرقي فيمتد سرير حجري رأسه من ناحية الشمال وينحدر قليلاً إلى ناحية الجنوب وفي وسط الضلع الجنوبي فتحة صغيرة، وفي الركن الشمالي الغربي من الغرفة كتلة حجرية كبيرة وهي عبارة عن حوض وعلى أرض الغرفة مجموعة من الأواني[٣٤]. (إبراهيم، ص٤٨)

ويوجد في مصلحة الآثار بالقرب من مدينة (هابو) بالأقصر لوح من الحجر الجيري كان العثور عليه أثناء البحث في معبد (مدينة هابو-طيبة) حوالي سنة ١٩٠٠م وتم التعرف عليه إذ اكتشف بأنه مائدة تحنيط طولها (٢٢٥سم) وعرضها (١١٠سم)، وارتفاعها (٣٦سم) ولها حافة أبعادها من داخل الحافة كالآتي: الطول (٢٠٠سم)، والعرض (٨٨سم)، والعمق مكان الرأس (١٠سم) ومكان القدمين (٦سم)، والسائل يجري بحكم ميل السطح وانخفاضه نحو فتحة أو ثقب عند القدمين؛ ليتجمع في خزان ملاصق للمائدة[٣٥]. (برستد، ص٩٥)

التوابيت:

يعد التابوت أهم قطعة في الأثاث الجنائزي، وكان الغرض منه المحافظة على الجثة، وقبل عصر بداية الأسر منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، كانت جثث الموتى تلف بالحصير أو بجلد الحيوان، ومنذ عهد الأسرة الأولى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، ظهر استعمال التابوت الخشبي، وقد شهدت صناعة صناديق التوابيت تطورات مختلفة، منذ ذلك الحين، من حيث الشكل العام والزخرفة، وفي عهد الأسرة الأولى كان التابوت الخشبي صغيراً يتسع للجثة مقرفصة، وفي عهد الأسرة الثانية ظهر التابوت الخشبي الذي يتسع للجثة وهي ممددة[٣٦].(عبدالواحد، ص٢٤٢)

وحصل بعض التطور في بعض التوابيت في عهد السلالتين الثالثة والرابعة عصر الدولة القديمة من ناحية الصنع وزخرفتها بحيث تظهر وكأنها بيت سكن، ذو باب وشبابيك وستائر وكثرت الصناديق والتوابيت منذ عهد السلالة السادسة إلى السلالة الثانية عشرة في عهد الدولة الوسطى حوالي (٢٠٥٠ق.م)[٣٧]. (محمد عبدالحليم، ص١١٠) وتفننوا في صنعها من الأخشاب الثمينة، كخشب الأرز وزخرفتها من الخارج[٣٨].(باقر، ص٢٠٦)

ولما تطورت الحياة في مصر الفرعونية أصبح للأفراد حق كتابة النصوص الجنائزية على توابيتهم "وهي عبارة عن ما يسمى بنصوص التوابيت" وهي عبارة عن مجموعة من التعاويذ، ترتل خلال الاحتفالات الجنائزية وترمى إلى المحافظة على وجود ورفاهية الميت بقواها السحرية[٣٩]، وأضيفت إليها مواد أخرى[٤٠].(عصفور، ٨٧)

وفي عهد الدولة الحديثة (١٥٧٠ق.م)، استبدلت رسوم القصور والبيوت، التي كانت تغطي الواجهات الخارجية من التابوت، بمناظر وزخارف جديدة عن الآلهة ورحلة الميت إلى الشمس وغيرها من المشاهد[٤١].(عبدالواحد، ص٢٤٣)

وقبل أن يغلق التابوت على الجثة المحنطة، كانت توضع فيه مقتنيات الميت الشخصية من أسلحة وملابس وغيرها [٤٢].(عبدالواحد،ص٢٤٣)

أنواع القبور:

كان القبر أصلاً من أصول الحضارة المصرية القديمة، منه تعلم الإنسان البناء ونحت التماثيل ومنه أنشئت المعابد وتأسست الأديان القديمة وعرفت الكيمياء من التحنيط ووصل الناس إلى أقصى الأرض يبحثون عن الذهب والمعادن والأشياء؛ من أجل إطالة العمر بعد الموت وبالطبع كانت المحافظة على الجثة تتطلب أن يكون الدفن في مكان أمين بعيد عن المؤثرات الجوية والحيوانات الضارية وكانت المقبرة في أول أمرها عبارة عن حفرة بسيطة يوضع فيها الميت ثم يسهل عليه الردم ثم أمكن تسقيف هذه الحفرة بالبوص ثم بالخشب[٤٣](موسى، سلامة، ص٤١) منذ عهد ما قبل الأسرات أصبح الجزء الذي تحت سطح الأرض مستطيل الشكل، وفي أواخر هذا العصر تقريباً قسمت حفرة الدفن إلى حجرات كما أن الجزء الذي يعلو سطح الأرض فوق هذه الحفرة أصبح عبارة عن بناء من اللبن مستطيل الشكل مائل للجوانب وللداخل قليلاً وهو الذي عرف باسم المصطبة، ومنذ عهد زوس، أمكن بناء مقبرة بأكملها من الحجر وكان قبره على شكل هرم مدرج، وابتداءً من عهد زوس تدرج الملوك في بناء أهرامهم إلى

أن وصلوا إلى الشكل الهرمي الكامل في عهد الأسرة الرابعة وكان كل ملك يبني في الجهة الشرقية من هرمه معبداً يصله بالوادي عن طريق منحدر ينتهي ببناء صغير للاستقبال على حافة الوادي[٤٤]. (عصفور، ص٨٧)

ومنذ عهد الدولة الحديثة أخذ الملوك والأشراف في نحت مقابرهم في الصخرة؛ خشية سطو اللصوص عليها وفي نهاية تلك المقابر كانت توضع موميات أولئك الفراعنة لتكون آمنة خاصة وأن المكان يقع في وادي بين الجبال الواقعة خلف تماثيل الملك امنحوتب الثالث ولكن في اليوم الذي بدأ فيه الضعف يتسرب إلى الدولة بدأ اللصوص يعبثون بها فلم ينج منها إلا قبر واحد وهو قبر الملك ثوت غنخ آمون[٤٥]. (برستد، ص١٣٩)

المبحث الثالث

المواد المستعملة في التحنيط وكساء المومياء

أ) أهم المواد المستعملة في عملية التحنيط:

أما أهم المواد الأساسية المستعملة في التحنيط والتي تقم بامتصاص دهنيات الجسم وشحومه وعفونته وتكسبه النقاء والجفاف والرائحة الزكية فهي:

أ) شمع النحل:

كان شمع النحل يستعمل في التحنيط لتغطية الأذنين والعينين والأنف والفم ولتحنيط الجرح، وقد وضع شمع النحل أيضاً على أجزاء أخرى من الجسم[٤٦]. (حسن، ص٣٧٦)

ب) القار:

يتبين لأول وهلة من دراسة ما كتب عن التحنيط أنه لاشك إطلاقاً في أن القار الطبيعي (الزفت) من البحر الميت قد استخدم في مصر على نطاق واسع لحفظ الموتى، إذ ذكر كل من ديودورس وسترابو في سياق حديث لهما عن البحر الميت، أن المصريين قد استخدموا القار المأخوذ منه في التحنيط ولو أن أولهما لم يذكره في وصفه التفصيلي لعملية التحنيط كذلك يذكر كل الباحثين في التحنيط من الكتاب المحدثين أن القار قد استخدم في التحنيط ولكن الكيميائي الفريد لوكاس فحص هذا الموضوع ووجد أن الزفت، لم يستعمل قط في تحنيط الأجسام الآدمية عند المصريين قبل عصر البطالمة، حيث يقول "على الرغم من أن القار يوصف دائماً في الكتب الحديثة، بأنه المادة الجوهرية في التحنيط، إلا أنه لم يستخدم بالمرة، حتى العصر اليوناني والروماني، على أن استعماله لم يكن عاماً أبدا ويرجع الخطأ في ذلك إلى أن الكثير من المواد المأخوذة من الموميات وخصوصاً ما يرجع منها إلى عصور متأخرة – أسود اللون – ويشبه القار كثيراً في مظهره ولم تفحص هذه المواد فحصاً كيميائياً دقيقاً بالطرق الحديثة[٤٧]. (لوكاس، ص٤٩)

ج) النطرون:

وهو ملح يوجد طبيعياً بشكل مزيج من كربون الصوديوم وبيكربونات الصوديوم، موجودة حالياً في ثلاثة أماكن في مصر في وادي النطرون مديرية البحيرات وإقليم الكاتب بمديرية أسوان وقد ذكر نطرون مصر من سترابو وبليني ويحوي النطرون المصري كمية من ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) بنسبة قد تصل إلى ٥٧٪ [٤٨]. (برستد، ص١٠١)

وقد استعمل في التحنيط منذ الأسرة الرابعة حتى العصر الفارسي وكان المتوفى يعالج فيه وكان تعالج بالنطرون في حالته الطبيعية لا في محلوله.

وقد جاء الخطأ الشائع في أن الجسم كان يغمس في النطرون من سوء ترجمة ما ذكره هيرودوث في هذا الموضوع، فقد كان النطرون يمتص بقايا المياه الموجودة في الجثة بطريقة الانتفاخ، وتذيب هذه المياه الموجودة في الجثة بعضاً من أملاح النطرون الجافة فتحدث محلولاً قلوياً وهذا المحلول يتفاعل مع بقايا محلول دهن الجثة، كما يوضع أيضاً بعض من الراتنج[٤٩]. (حسن، ص٢٠٧)

د) القرفة وخيار شنبر:

القرفة هي لحاء شجر ينبت في الهند وسيلان والصين وخيار شنبر من فصيلة القرفة وليس بينهما فرق إلا أن خيار شنبر نوع من التوابل حار أكثر من القرفة، هذا بالإضافة إلى أن مذاقه أقل لذة ولم يكن يستعمل قديماً من خيار شنبر والقرفة لحائهما، بل زهورهما وأعشابهما وخشبهما، وأقدم إشارة لخيار شنبر في المتون المصرية هي التي يرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين، أما أقدم إشارة للقرفة فترجع إلى عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة.

ولم تذكر المتون المصرية استعمال هذين الصنفين، غير أنهما - لاشك- كانا يستعملان في الطعام والتعطير ومن المحتمل أنهما يستعملان خوراً. وكما ذكر (هيرودوت) كانا يستعملان في التحنيط وقد عثر على بعض موميات يظن أنه وجد فيها بقايا القرفة ولكن ذلك ليس مقطوعاً به[٥٠]. (برستد، ص١٩٥)

هـ) زيت الأرز:

إن هذه المادة التي أشار إليها كل من (هيرودوت) و(ديودورس) وترجمة بـ (زيت الأرز) ولم تكن على الأرجح من نتاج الأرز، بل من نتاج العرعر، ولما كان هذان المؤرخان على خلاف بشأن طريقة استخدام هذه المادة، إذ يذكر أحدهما تحقن داخل الجثة ويذكر الآخر أنها استخدمت لتدهينها فإما أن يكون أحدهما مخطئاً أو يكونا قد قصدا مادتين مختلفتين.

ولما كانت كيفية استخدام (زيت الأرز) غير معروفة على وجه التحقيق، إذ أن كل غرض من الغرضين المذكورين يحتاج إلى مادة مختلفة عن الأخرى، فمن المحال التأكد من طبيعتهما فإذا كانت مادة قد استخدمت للحقن، فمن المحتمل أنها كانت زيتاً غير نقي أو حامضاً من خل الخشب المخلوط، وإذا كانت قد استخدمت لتدهين الجثة فمن المحتمل أنها كانت نوعاً من الزيت العادي المعطر بالزيت الطيار المستخرج من العرعر وفي كلتا الحالتين لا يمكن أن تكونا

زيتاً مستخرجاً من أي شجر صنوبري إذ لم يكن أي زيت من هذا النوع معروفاً آنذاك. وقد ظل استخدام زيت الأرز فيما يختص بالتحنيط حتى أواخر القرن الأول بعد الميلاد[٥١]. (لوكاس، ص٤٩٧)

و) الصمغ والحناء:

يقول هيرودوت أن الصمغ كان يستعمل للصق لفائف الكتان التي كانت توضع فيها المومياء وقد قال أن المصريين كانوا يستعملون بدلاً منه الغراء وقد وجد لوكاس الصمغ على مومياوات، يرجع عهدها إلى الأسرة العشرين وكذلك وجد على وجه مومياء (امخوتب الثالث) قطعة من القماش مشبعة بالصمغ ولما كان شجر السنط ينبت كثيراً في مصر في ذلك العهد وهو يغطي مادة الصمغ فمن المحتمل جداً أن كل الصمغ الذي كان يستعمل في التحنيط كان محلياً وقد ذكر بليني أنه في أيامه كان أحسن نوع من الصمغ يجلب من مصر[٥٢]. (حسن، ص٣٧٩)

أما فيما يخص الحناء فهي شجيرة دائمة الخضرة تزرع بكثرة في مصر إذ تزرع في الحدائق، وما لوحظ أن أظافر أصابع الأيدي والأقدام في المومياوات كانت أحياناً مصبوغة[٥٣]. (لوكاس، ص٤٦٨)

ز) حب العرعر والمواد الراتنجية:

وضع المصريون فاكهة العرعر على جثث موتاهم ولابد أن العرعر كثيرة في مصر القديمة فقد عثر على ثمرة بمقبرة الأسرة الثامنة عشر وبقبر (توت عنخ أمون) والظاهر أن زيت هذه الحبوب كان يستعمل لمسوح المتوفي.

أما الراتنج فلا توجد أشجاره حالياً بمصر، وهو إحدى المواد النباتية القابلة للاشتعال والراتنج الحر لا يذوب في الماء ويذوب بسهولة في الكحول. وأشجاره حالياً موجودة بشرق البحر المتوسط والسودان والحبشة ولا يستبعد أن استورده المصريون القدماء من هذه الجهات، إذ وجدت منه كميات لا بأس بها بمقابر قدماء المصريين واستعمل كثيراً في أدهنة الزينة والرائحة وقد عثر على هذه المواد في المقابر الفرعونية منذ عهد البداري وما قبل الأسرات[٥٤]. (كمال، ص٥٨٦)

ح) الدهانات والبصل:

لم يبين ديود ورس طبيعة الدهانات الثمينة، التي ذكر أنها استخدمت لتدهين الجثة بعد التحنيط ولا توجد بينه في المومياوات يمكن بواسطتها التحقق عن تركيب هذه الدهانات.

وقد ذكر في بعض الأوراق البردية من عصر البطالمة الاحتفالات الدينية، التي كانت تقام بعد أن يهيئ المحنطون الجسم ليلف في الأكفان وفي خلال التكفين. وقد كان يستعمل في الحالة الأولى نوع من الدهان مؤلف من صبغ الراتنج وزيوت أخرى مختلفة وشحم منها زيت خشب الرز والشحم المغلي وشحم الثور.

وفي ورقة أخرى نجد زيت الأرز وزيت الزيتون وبعد لف الجثة كان يصب عليها سائل

أو شبه السائل الزاتنجي[٥٥]. (حسن، ص٣٨)

أما عن البصل، فقد ذكر أنه كثيراً ما وجد فيما بين لفائف موميات الأسرة الحادية والعشرين وفي توابيت هذه الموميات وكذلك وضع قشر البصل – أحياناً – على عين الميت منذ الأسرة الحادية عشرة. وكان هذا البصل موضوعاً في تجويف الحوض وفي التجويف الصدري وفي الأذنين الخارجيتين وفي مقدمة العين ويذكر أن البصل قد استخدم بكثرة في عملية التحنيط في الأسر العشرين والحادية والعشرين[٥٦]. (لوكاس، ص٥٠٧)

ومن المواد المستعملة أيضاً في عملية التحنيط نبيذ البلح والنشادر وغيرها[٥٧]. (سليمان، ص١١)

ب) كساء المومياء بالقناع والتماثيل وتزيينها بالحلي:

كانت تعلق العقود والقلائد والتمائم وتوضع الأساور والكفوف والخواتم والصنادل، وكان يوضع فوق الجرح الذي أحدثه الجراح لاستخراج الأعضاء الداخلية قطعة سميكة من الذهب على شكل ورقة منقوش عليها عين وأحياناً تلك العين توضع فوق الصفحة الذهبية؛ لأن خاصيتها شفاء الجروح، وكما توضع أربعة آلهة لحراسة الأواني الكانوبية ثم توضع أيضاً نسخة من كتاب الموتى بوصفه المرشد الذي لا غنى عنه في الآخرة.

وبعد ذلك يلف الجلد والأعضاء بلفائف من الكتاب ثم يوضع القناع على الوجه وكان ذلك القناع مصنوعاً من القماش من خليط المرمر المسحوق والجير لعامة الناس.

أما قناع الملوك وبعض الشخصيات المهمة، فكان يصنع من الذهب وكان يربط الخيوط إلى ثياب من خرز، ثم تلف الجثة أخيراً بأكملها بكفن يثبت بواسطة شرائط متوازية[٥٨]. (مونتيه، ص٤٣٣) فرأى المصريين أنه مهما أتقنوا التحنيط. فإن الوجه تتغير ملامحه فصنعوا أولاً صورة فوق لفائف المومياء تشبه الأصل غير أن هذه الصورة لم تكف؛ فصنعت تمثال من الخشب أو الحجر ووجه المومياء يرسم بالألوان[٥٩].

المبحث الرابع

الدوافع الروحية لعملية التحنيط والتراتيل الدينية

أ) دوافع التحنيط:

إن فكرة التحنيط قد ابتدعت نتيجة عقيدة المصريين القدماء بحياة ما بعد الموت وضمان هذه الحياة بالمحافظة على الجسم في القبر سالماً محفوظاً غير معبوث به.

ولما كان قدماء المصريين يعتقدون أن الروح التي تركت الجسد عند الوفاة ستعود وتتحد به ثانية، فقد كان من الأهمية بمكان ألا يكتفي بالمحافظة على الجثة، بل كان من الضروري أيضاً أن يحافظ بقدر الإمكان على شكلها، كما كان في الحياة ومن ثم كان هذان الفرضان الهدفين الأساسيين للتحنيط[٦٠]. (لوكاس، ص ٤٤٦)

وقد كان هناك عنصر حاسم آخر هو المناخ ففي أرض تخلو عملياً من الأشجار، مثل مصر، لم يكن حرق الجثث حلاً عنبياً كما كان في اليابان أو اليونان على سبيل المثال، كما كان الدفن السطحي شيئاً محظوراً في مصر القديمة بسبب الفيضان، الذي كان كفيلاً في المواسم الوفيرة بأن يملأ الوادي والدلتا ببقايا الجثث مما كان يمكن أن يكون مصدراً للطواعين والأوبئة وكان من الطبيعي اللجوء إلى وضع الجثث في كهوف الجبال الصخرية الموازية للنيل، لكن وضعها ركاماً بحالتها الطبيعية كان من شأنه أن يكون مجلبة للحوام، كبنات أوى، وللحشرات والهوام، وهي كثيرة في وادي النيل[٦١]. (حسن، ص٦١)

ويدل النص الذي أجري في موميات الأسرة الحادية والعشرين أن قصد المحنطين لم يكن مجرد حفظ الجسم والمادة وصورته كما كانت في الحياة الدنيا وحسب بل كان كذلك غرضهم أن يحول الجسم الذابل إلى صورة حية، تنطبق على الأصل أي تصبح موحدة بقدر المستطاع بشخصية المتوفى وعلى ذلك فإن الجسم الذي كان يعاد إصلاحه كان يصبح مثلما كان يلون التمثال؛ ليصبح مشابه للأصلي وكذلك يعاد كل عضو إلى مكانه ويحفظ للجسم كماله التام.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان يصلح كل ما كان فيه من نقص وبذلك كانت تظهر المومياء وجيهة بعد الموت، بقدر المستطاع.

وتأكد لنا أن الغرض المقصود من تحول المومياء إلى صورة تمثال ما نشاهده من أن استعمال الصور المصنوعة من الخشب أو الحجر قد بطل استعمالها في الوقت الذي أخذت هذه الطريقة الجديدة في التحنيط تستعمل، إذ حل بذلك الجسم الحقيقي بدلاً من هذه التماثيل[٦٢]. (حسن، ص٣٥٩)

ب) التراتيل الدينية أو العقائد الجنزية:

أوسع وأهم المصادر الدينية من هذه التراتيل، وأوسعها تعبيراً عن عقائد ما بعد الموت وتطورها من عصر إلى عصر، هي: متون الأهرام ومتون التوابيت وكتب الموتى وتضمنت صوراً

أخروية ودنيوية، وأسطورية وفلسفية بعضها راقٍ منطقي وبعضها بدائي مضطرب.

وكان أمتع ما سجله أصحاب الفكر والدين في هذه المتون عن رأيهم في مصائر بعد الموت، أنهم اعترفوا في عبارات صحيحة بإيمانهم بأن "الجسد للأرض وأن الروح للسماء" وقالوا يخاطبون فرعونهم، في حديث بطبيعة الحال: قد يتحلل جسدك طولاً وعرضاً، ولكن روحك سوف تبقى وسوف تبقى وسوف تشهد رع في غلاته الحمر، أي تشهد الشمس في ألوانها الحمر، ويعني ذلك، وبحسب ما أسلفناه من أنهم على الرغم من اهتمامهم المفرط بمقابرهم، بوصفها بيوت الخلود. لم يتصوروا أن أرواحهم سوف تظل حبيسة فيها وإنما تصوروها وتصوروا أرواح ملوكهم وأحبارهم بخاصة، وسوف تظل طليقة في عالمها غير المنظور، تستمتع بصحبة موكب الشمس حيث شاءت، وتستروح نعيم الجنة في العالم الآخر، حيث شاءت، وتؤوب إلى قبرها لتنعم بمرأى القرابين متى شاءت، وتحط على جسدها حيث شاءت، واختلط الأدب والخيال بالدين في متون الأهرام[٦٣] (صالح، ص٣١٩). حيث أن متون الأهرام تدور في معظمها حول الملك وواجب الآلهة نحو العناية بشخصية المقدس فقد وجدت أوراد تدل على أن الميت لم يذنب في حق الملك، مما يدل على أن هذه الأوراد في أصلها كانت تستخدم لعامة الشعب أيضاً أو أنها كانت شائعة ومن الأوراد ما يدل على مصير متواضع إذ تشير إلى الرقاد في التراب أو الرمل، ومما تجدر الإشارة إليه أن المصري كان يعتقد بأن الإنسان يتألف من ثلاثة عناصر هي: الجسم والكا (القرين) والبا (الروح)، وكان يفسر الموت بأنه هجر الكا للموتى، علماً بأن الكا كان يستقبلها عند ولادته بأمر (رع) وهي تشبه صاحبها تماماً، كما اعتبر القبر داراً للكا وأن القرابين تقدم إليها، كذلك كانت الكا في نظر المصري هي الملاك الحارس الذي يهتم بالإنسان وهي التي تنجب له الأبناء ولكنها ظلت مع ذلك كائناً إلهياً غامضاً بالنسبة له كما يفهم ذلك من النصوص المختلفة التي تشير إليها.

أما البا فهي الروح التي تترك الجسد عند الموت وقد صورها المصري في أشكال مختلفة فهي أحياناً كطير ولذلك كان من المحتمل في نظره أن تكون روح الميت طائراً بين طيور الأشجار التي غرسها بنفسه، وأحياناً تكون في هيئة زهرة اللوتس أو في هيئة الثعبان، الذي يندفع من جحره أو التمساح الذي يزحف من الماء إلى الأرض، وقد تساءل المصري كذلك عن مقدرة الروح وظن أنها تستطيع اتخاذ تلك الأشكال جميعاً وغيرها من أشكال كثيرة لا حصر لها، كما أنها كانت في نظره تستطيع الاستقرار في أي مكان تشاء[٦٤]. (عصفور، ص٨٤-٨٥).

وظهرت متون التوابيت، فيما مر بنا، منذ أواخر الدولة القديمة وزادت حصيلتها وتنوعت مذاهبها في عصر اللامركزية، ثم في الدولة الوسطى، واقتبس الكهان بعض أورادها من متون الأهرام، ثم ألفوا بقيتها بما يتناسب مع عهودهم المتتالية وآمال الناس فيها، كان من أهم ظواهرها تلقب كل متوفٍ فيها بلقب زير آملاً في أن ينعم في الآخرة بما نعم به ويخلد فيها مثل خلوده وكان هذا اللقب في بدايته قاصراً على الفرعون، بوصفه وريثاً أو وزيراً في الدنيا والآخرة، فلما اهتزت أركان الملكية في أواخر الدولة القديمة، انتحل حكام الأقاليم امتيازاتها الدينية ورجوا لأنفسهم في الآخرة ما كان الفراعنة يرجونه لأنفسهم، وتلقبوا مثلهم بلقب اوزير، ثم

قلدها في ذلك من تحتهم حتى شاع اللقب وأصبح أملاً عاما لكل إنسان.

وتنوع مضمون متون مضمون متون التوابيت كما تنوع مضمون متون الأهرام بين الأناشيد ودعوات أساطير وفلسفات وتخيلات وأوهام، وكان من نصوصها ذلك النص الذي استشهدنا به على تطور العقائد التالية في الدولة الوسطى والذي يذكر الرب فيه عادة بأربع من أسداها إليهم وجعلها أموراً مشاعة لكل فرد منهم وهي:
الرياح والفيضان والاشتراك في الخلقة، والإيمان بالآخرة، وأرباب الأقاليم، إلى جانب خلقه إياهم من دموع عينيه أي من أعز ما لديه، والطريف أن هذه الرواية قد بدأت بتصور الرب يحادث حاشيته فيما فعل، وقالت: "قال رب الكل لمن ارتاحوا من النصب وساروا في معيته، اطمئنوا في سلام، لسوف أعيد عليكم أربعاً مما أوحى لي قلبي بأدائها، حين كنت في طية الأفعوان أحاول أن أميت الشر، وقد أديتها عند مدخل الأفق..."

ولم تؤد كثرة المتون على التوابيت إلى الاستغناء عن نقش متون دينية أخرى على الجدران، ثم لم تغن هذه ولا تلك عن ظهور موسوعات دينية جديدة في الدولة الحديثة، وهي كتب الموتى، التي أصبحت تكتب على أدراج متفاوتة الأطوال من البردى وتحفظ مع الموتى في تابوته أو توضع بين أكفانه، ولم تكن في حقيقة أمرها كتب تلتزم ترتيباً معيناً وتتحدد بداية أو نهاية، ومن أجل هذا عدلنا عن تسميتها بالاسم الشائع لها وهو كتاب الموتى، وإنما كانت فصولاً دينية متفرقة تطور بعضها عن متون التوابيت، وألف بعضها الآخر بما يتفق مع تصورات عصره، وكان الكتبة الدينيون يكتبون منها في كل درج ما يحفظونه منها أو ما تتوفر عندهم نسخة، أو ما يطلبه منهم العميل نفسه، أو يشيع عادة في أيامهم، وقد داخل هذه الفصول كثير من السحر والأخيلة الشعبية، وسوف نكتفي فيما يلي بنماذج من أفضل ما فيها.

وكانت فكرة الحساب والمسؤولية أمام الأرباب قد ترددت من قبل في كل من متون الأهرام ومتون التوابيت، ولكنها أصبحت أوضح في كتب الموتى، ويعبر عنها فيها باللفظ والصورة، وبصور معنوية وأخرى عادية. ومن أكثر صورها شيوعاً تصوير ميزان ينصب ويوضع في إحدى كفتيه قلب المتوفى؛ باعتباره مصدر النية والمشاعر والضمير، بينما تصور في الكفة الأخرى ريشة، ترمز من حيث اللفظ إلى كلمة "ماعت" بمعنى العدالة، وترمز من حيث الصورة إلى دقة الوزن وحساسيته.

ويجري الحساب عادة في حفرة رب الآخرة أوزير، وبحضور اثنين وأربعين قاضياً مقدساً، يمثلون أرباب عواصم الأقاليم، بينما يقوم على تقييم الحسنات والسيئات رب الكتابة والحكمة (تحوت) فيسطر على لوحة نتيجة الوزن ونتيجة دفاع الموتى عن نفسه أمام أربابه وإلهه الأكبر، وحينئذ يتحدد مصيره، فإما إلى جنان ذات سمك وغزلان وزروع ترتفع سنابلها إلى سبعة أذرع، وإما إلى جحيم تتنوع فيه صور الحرمان والفزع وأذى الوحوش والحيات والثيران[٦٥]. (صالح، ص٣٢٠-٣٢٢).

وآخر الطقوس المتبعة في هذه العملية كلها الطقس المسمى (فتح الفم) وكانوا لا يقومون بعمله إلا بعد التحنيط وفي يوم الدفن، وكان هذا الطقس طقساً

سحرياً يقصد به تمكين الجسم من أن يتكلم مرة أخرى، ويستمتع بالقرابين في الحياة الأخرى التي كان على وشك البدء بها، وهي أهم من حياتهم الأولى على الأرض وأن جميع من عنوا بدراسة هذا الموضوع، متفقون على أن طقس فتح الفم كانوا يقومون بعمله أمام التماثيل في البهو الكبير، في معبد الوادي، وفي العصور التالية كانت تقام هذه الطقوس في المعبد الجنائزي المشيد إلى جانب الهرم في الناحية الشرقية منه.

وبعد أن يضعوا المومياء في حجرة الدفن كانوا يغلقون مدخل الهرم إغلاقاً أبدياً ويخفونه تماماً وراء أحجار الكساء الخارجي، ثم يبدأ الكهنة بالطقوس المتبعة في هذه العملية معتقدين بالحياة الأخرى إلى الأبد، ويتلخص كل ما كان يقوم به الكهنة نحو الملك المدفون في الهرم في إقامة الطقوس المختلفة وتقديم القرابين في معبدي الهرم، وكانوا يصحبون كلاً منها بصلوات خاصة أو طقوس معينة، ولم يكن تقديم القرابين يختلف كثيراً عن تقديم وجبات الطعام أثناء الحياة إذ كانوا يبقون تقديم القرابين بعملية تطهير يحرقون دوراً فيها، ويختمون ذلك أيضاً بصب الماء كآخر طقس من طقوس التطهير، وفي أيام الأعياد الرسمية التي يحفل بها التقويم المصري كان على الكهنة واجبات خاصة أخرى، ومراسيم معينة يقومون بأدائها، ومن المحتمل أنه كان يسمح لبعض الناس غير الكهنة، بحضور تقديم القرابين وبالدخول إلى بعض أجزاء معينة من المعابد.

وكان المفروض أنه يتحتم على ابن الملك المتوفي أن يعد كل شيء يستلزمه دفن أبيه، وأن يقوم بالاشتراك في أداء بعض الطقوس[٦٦]. (فخري، ص٢٩-٣١)

الخاتمة

وتأسيساً على ما سبق، واستناداً إلى الطروحات التي تناولت هذا الموضوعات، يمكن القول: أن عملية التحنيط كان يقوم بها المصريون القدماء للمحافظة على أجساد الفراعنة بعد موتهم، لفترات طويلة من الزمن، وجاءت هذه العملية، لاعتقاد المصريين القدماء بالحياة ما بعد الموت، لذلك يجب أن يبقى الجسد في القبر سالماً، محفوظاً، غير معبوث به.

وإلى جانب ذلك، كان المصريون القدماء يحافظون على أجساد فراعنتهم عن طريق وضع الجثة في مكان ملائم، بعيداً عن فيضانات النيل وفي مناخ جاف لمنع التفتت.

وعلى الرغم من عدم وجود نص تاريخي يؤكد بالضبط متى ظهر التحنيط، إلا أننا يمكن إرجاع ظهور عملية التحنيط عند المصريين القدماء إلى الأسرة الأولى أي حوالي (٣٤٠٠) ق.م، من خلال ما اكتشف في القبور من أجساد محنطة بصورة بسيطة.

وظل المصريون يمارسون عملية التحنيط مقصورةً على الملوك والأشراف والكهنة وكبار الموظفين وبعض الأفراد الأغنياء في بداية الأمر ولم يعم استعماله إلا بعد فترة طويلة من الزمن، حتى صار الموتى من الطبقات الفقيرة يحنطون أيضاً.

لقد كان ثمة مراسيم وعادات وتقاليد تتم قبل القيام بعملية التحنيط، إذ كانوا يلزمون البيت فلا يبرحونه سبعين يوماً؛ حداداً على الميت ولا يقومون خلال هذه الأيام السبعين بأي

عمل يتطلب مجهوداً، ويلزمون البيت ساكتين ولا يخرجون منه إلا في الحالات الضرورية، فإذا خرجوا لطخوا وجوههم بالطمي، وبعد مرور وانقضاء تلك الأيام فإنهم يقومون بتسليم الجثة إلى المحنطين واختيار طريقة التحنيط، إذ كانت هناك طرق للتحنيط، وتعددت طريقة أكثر كلفة ودقة وإتقاناً وهي خاصة بالأسرة الحاكمة والنبلاء والأثرياء، والطريقة الثانية كانت متوسطة الكلفة، وهناك طريقة ثالثة والتي كلفتها قليلة جداً.

ولم يقتصر التحنيط على الملوك والناس الآخرين، بل إن المصريين حافظوا على بعض أجساد الحيوانات المقدسة كالقطط والصقور والقردة...الخ واستخدموا في تحنيطها الطرق نفسها التي استعملوها في تحنيط الآدميين.

ومن النتائج التي خلص إليها الباحث وتعطي البحث قيمته العلمية أيضاً ما يأتي:

أولاً: أن سبب عدم شيوع التحنيط في البداية واقتصاره على الملوك والأثرياء وكبار الموظفين والأشراف هو بسبب الكلفة العالية الناتجة من إجراء مثل هذه العملية (التحنيط).

ثانياً: أن المجتمع المصري كان يعاني من تفاوت طبقي لذلك اقتصر على الفئات التي سبق ذكرها وبعد ذلك عم هذا الأمر والتي وإن كان قد استخدمها بقية الناس إلا أنهم استخدموا الطريقة الأقل كلفة.

ثالثاً: إن عملية التحنيط تندرج تحت عنوان الديانة ولذلك لا نجدها تحمل عنواناً مستقلاً، ومن ثم فإن جمع المعلومات عن هذه العملية يتم بالرجوع إلى موضوع الديانة في تاريخ مصر القديمة.

رابعاً: من المتوقع أن المصريين لم يطوروا التحنيط إلا بعد غزو الشرق في عهد المملكة الحثية وبذلك تأثروا أخذوا هذه الطريقة إلى مصر وكما هو معروف لدينا، أن الحضارات أخذ وعطاء، وتناقل للخبرات، وتراكم للمعرفة والمعلومات.

صفوة القول بأن موضوعاً كهذا لقيمته العالية لا يهمنا كمؤرخين فقط فهو يهم الكيميائي والطبيب والآثاري، نظراً للأسرار الجمة، التي - حتماً - سيستفيد منها الباحثون في معظم مجالات المعرفة. وهو الأمر الذي أوصي به الباحثين في التخصصات المذكورة، لعلهم يكتشفوا ما يفيدهم، وما يخدم حضارتنا ويعزز من تقدمنا.

قائمة الهوامش

(١) باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، (بغداد ١٩٥٦م)، ص ١٠٠.

(٢) مهران، محمد بيومي: تاريخ الشرق الأدنى القديم (الحضارة المصرية)، ١٩٨٤م، ص ٤١٨، وكذا عبدالواحد، فاضل، وعامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)، ص ١٠٣.

(٣) عبدالواحد، وعامر سليمان: المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٤) أحمد، جمال رشيد: الكاردوخيون، ترجمة: جمال رشيد، مج١ (مجلة المجمع العلمي العراقي)، (بعداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م)، ص ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٥) موسى، سلامة: مصر أهل الحضارة، (مصر: مطبعة المجلة الجديدة ، د.ت)، ص ٤٥.

(6) William, A.Ward, The spirit of Ancient Egypt, (Beirut, 1965), p.124.

(٧) غليونجي، بول: الحضارة الطبية في مصر القديمة، ترجمة: زينب الدواخلي، (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥)، ص ٣٢.

(٨) مرق، مرجريت: مصر ومجدها الغابر. ترجمة: محرم كمال، (مصر: ١٩٥٧). ص٢٧١.

(٩) تشرني، يا روسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدوري، (مصر: مطبعة هيئة الآثار المصرية، د.ت)، ص ١٢٦.

(١٠) غليونجي: المصدر السابق، ص ٣٢.

(١١) حسن، سليم: مصر القديمة: ج٢، (مصر: مطبعة كوثر، د.ت)، ص ٣٧٣.

(12) Murray, Margaret, A, The splendour that was Egypt (Ageneral Survey of Egyption Culture and Civilization), London, 1949, P 186.

(13) Carrington, Richard, The Tears of Isis: The story of new Journey from the mouth to the source of River Nile, (London, 1959), P. 148.

(١٤) لوكاس، الفريد : المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكي اسكندر وكذا، محمد زكريا غنيم، ج٣ (القاهرة: دار الكتب المصرية ، د.ت)، ص ٤٥ .

(١٥) بافر: المصدر السابق، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(١٦) إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم – الحضارة المصرية القديمة – (مصر: دار المعارف، ١٩٦٦)، ط٢، ص ٤٧٧ .

(١٧) هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦)، ص ١٩٢ .

(١٨) بير، مونيه: الحياة في مصر، ترجمة: عزيز مرقص منصور (د.ت) ، ص ٤٣١ .

(١٩) إبراهيم: المصدر السابق، ص ١٨٣ .

(٢٠) صالح ، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، (مصر والعراق)، ج١ (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٧)، ص ٣١٨ .

(٢١) حسن: المصدر السابق، ص ٣٧٣ .

(٢٢) دريوتون، اتيين وفانديه، جاك: مصر، ت رجمة: عباس بيومي، (القاهرة، د.ت) ص١٠٤ .

(٢٣) حسن: المصدر السابق، ص ٣٧٣ .

(٢٤) بير: المصدر السابق، ص ٤٢٣ ، وكذا: إبراهيم: المصدر السابق، ص ١٨٩ .

(٢٥) إبراهيم: المصدر نفسه، ص ١٨٩ ، وكذا: Nilson, Nina, Your Guide to Egypt, (London, 1964), P. 225.

(26) Williams, Hen ty smith, The Hisotians History (Londond, The Encyclopedia Britannica Co, LTd) P. 236.

(٢٧) عبدالواحد: المصدر السابق، ص ٢٤٤ .

28) Williams, Op. Cit, P. 236. وكذا عبدالواحد: المصدر السابق، ص ٢٤٤ .

(٢٩) إبراهيم: المصدر السابق، ص ٤٧٧ ؛ وكذا: Williams, op. Cit. P. 236

(٣٠) مجلة آفاق عربية ، إعداد وترجمة: مرتضى الشيخ حسن ، (برلين: عدد ٢، ١٩٨٩م)، ص ١٣٥ .

(٣١) عبدالواحد: المصدر السابق، ص ٢٤٤ .

(٣٢) بافر: المصدر السابق، ج٢ ، ص ١٣٥ . وكذا: عوستاف لوبون: الحضارة المصرية، (مصر: المطبعة العصرية، د.ت) ، ص ٢٠٦ .

(٣٣) غليونجي: المصدر السابق، ص ٣٩ .

(٣٤) إبراهيم: المصدر السابق، ص ٤٨ .

(٣٥) برستد، جيمس هنري: فجر الضمير، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م)، ص٩٥ .

(٣٦) عبدالواحد، وعامر سليمان: المصدر السابق، ص ٢٤٢ .

(٣٧) محمد عبدالحليم، نبيلة: مصر القديمة (تاريخها وحضارتها)، الإسكندرية، د.ت، ص ١١٠ .

(٣٨) بافر: المصدر السابق، ج٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣٩) تشرني، بارو سلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: احمد قدوري (القاهرة: مطبعة هيئة الآثار المصرية، د.ت)، ص ١٢٣ .

(٤٠) عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، (بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٧٩)، ص ٨٢ .

(٤١) عبدالواحد: المصدر السابق، ص ٢٤٣ .

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٣ .

(٤٣) موسى، سلامة: مصر أصل الحضارة، (مصر: مطبعة المجلة الجديدة، د.ت)، ص ٤١ .

(٤٤) عصفور: المصدر السابق، ص ٨٧ .

(٤٥) برستد، جيمس هنري: انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم)، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦)، ص ١٣٩ .

(٤٦) حسن، سليم: مصر القديمة، ج٩، (مصر: مطبعة كوثر، د.ت)، ص ٣٧٦ .

(٤٧) لوكاس، الفريد: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكي اسكندر، ومحمد زكريا غنيم، ج٣ ، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ص ٤٩ .

(٤٨) برستد، فجر الضمير، المصدر السابق، ص ١٠٦ .

(٤٩) حسن: مصر القديمة، ج٢ ، ص ٣٨١ ، وكذا: حسن كمال: الطب المصري القديم، ج١ (مصر، د.ت)، ص ٢٠٧ .

(٥٠) برستد، فجر الضمير، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٥١) لوكاس: المصدر السابق، ص ٤٩٧ .

(٥٢) حسن: مصر القديمة ، المصدر السابق، ص ٣٧٩ .

(٥٣) لوكاس: المصدر السابق، ص ٤٦٨ .

(٥٤) كمال: المصدر السابق، ص ٥٨٦ .

(٥٥) حسن: مصر القديمة، ج٢ ، المصدر السابق، ص ٣٨ .

(٥٦) لوكاس: المصدر السابق، ص ٥٠٧ .

(٥٧) سليمان، عامر، احمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم، ص ١١ .

(٥٨) مونيه: المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .

(٥٩) موسى: المصدر السابق، ص ٤٣ .

(٦٠) لوكاس: المصدر السابق، ص ٤٤٦ .

(٦١) حسن، كامل يوسف: دوافع التحنيط عملية لاكتشاف في قاموس الأسرار، مجلة الفيصل، ع١٢٢، نيسان ١٩٨٧، ص ٦١ .

(٦٢) حسن: المصدر السابق، ج٢ ، ص ٣٥٩ .

(٦٣) صالح: المصدر السابق، ص ٣١٩ .

(٦٤) عصفور: المصدر السابق، ص ص ٨٤–٨٥ .

(٦٥) صالح: المصدر السابق، ص ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٦٦) فخري، أحمد: الأهرامات المصرية، ترجمة: احمد فخري، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٣)، ص ص ص ٢٩–٣٠–٣١ .

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١ – إبراهيم، نجيل ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة – مصر – دار المعارف ١٩٦٦م.

٢ – أحمد، جمال رشيد: الكاردوخيون، ترجمة: جمال رشيد، مج١ ، (مجلة المجمع العلمي العراقي) بغداد

، مطبعة المجمع العراقي ١٩٨٣م.
٣ – باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢ – بغداد – ١٩٥٦.
٤ – رشيد، خيمس هنري: فجر الضمير – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦.
٥ – بير، موتيه: الحياة في مصر، ترجمة: عزيز مرتضى منصور (د.ت).
٦ – تشرني، ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدوري، (مصر: مطبعة هيئة الآثار المصرية، د.ت).
٧ – حسن، سليم: مصر القديمة، ج٢، (مصر: مطبعة كوثر، د.ت).
٨ – حسن، كامل يوسف: دوافع التحنيط عملة لاكتشاف في قاموس الأسرار، مجلة الفيصل، ع١٢٢، نيسان ١٩٨٧م.
٩ – الخطيب، محمد: حضارة مصر القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣م.
١٠ – دريوتون، اتيين ونانديبه، جاك: مصر، ترجمة: عباس بيومي، القاهرة، د.ت.
١١ – سليمان، عامر، أحمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم.
١٢ – صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، (مصر والعراق)، ج١، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٧م.
١٣ – عبدالواحد، فاضل وعامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، بغداد: دار الكتب للطباعة، ١٩٧٩م.
١٤ – عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٧٩).
١٥ – غليوني، بول: الحضارة الطبية في مصر القديمة، ترجمة زينب الدواخلي، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥م.
١٦ – غوستاف لوبون: الحضارة المصرية – مصر – المطبعة المصرية، د.ت.
١٧ – فخري، أحمد: الأهرامات المصرية، ترجمة أحمد فخري – القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.
١٨ – محمد عبدالحليم، نبيله: مصر القديمة (تاريخها وحضارتها)، الإسكندرية، د.ت.
١٩ – مري، مرجفريت: مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، (مصر: ١٩٥٧م).
٢٠ – مهران، محمد بيومي: تاريخ الشرق الأدنى القديم والحضارة المصرية، ١٩٨٤م.
٢١ – موسى، سلامة: مصر أهل الحضارة (مصر، مطبعة المجلة الجديدة، د.ت).
٢٢ – لوكاس، الفريد: المواد والصناعات عند القدماء المصريين، ترجمة زكي إسكندر، وكذا محمد زكريا غنيم، ج٣، القاهرة، دار الكتب المصرية، د.ت.
٢٣ – كمال، حسن: الطب المصري القديم، ج١، مصر، د.ت.
٢٤ – هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، القاهرة، دار القلم ١٩٦٦م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Carrington, Richard, The Tears of Isis: The story of new Journey from the mouth to the source of River Nile, (London, 1959).
2- Murray, Margaret, A, The splendour that was Egypt (Ageneral Survey of Egyption Culture and Civilization), London, 1949.
3- Nilson, Nina, Your Guide to Egypt, (London, 1964).
4- William, A.Ward, The spirit of Ancient Egypt, (Beirut, 1965).
5- Williams, Hen ty smith, The Hisotians History (Londond, The Encyclopedia Britannica Co, LTd).
6- Williams, Op. Cit.